

مِنْ أَصُولِ الْمَلَّةِ

بِرَّهَا النَّبِيَّاتُ إِلَى الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ

وهي عبارة عن كلمة ألقيت في مركز أهل السنة في المحاولة / ليلة السبت ٩ شعبان ١٤٤٦ هـ

ويليها

الْقَذْفُ بِالْأَدْنَى الشَّرْعِيَّةِ

عَلَى بَعْضِ التَّعَصُّبَاتِ لِجَاهِلِيَّةِ

وهي عبارة عن خطبة جمعة ألقيت في مركز السنة بالمحاولة / ٢٧ / محرم / ١٤٤٦ هـ

لفضيلة شيخنا الفقيه: **أبي عبد الرحمن جميل الصلوي**
حفظه الله تعالى ورعاه ونفع به الإسلام والمسلمين



تفريغ وتنسيق : قناة الموعظة السلفية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مِنْ أَصُولِ الْمِلَّةِ

رَحْمَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



كلمة بعنوان: من أصول الملة رد النزاعات إلى الكتاب والسنة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾^(١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾^(٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾^(٣)

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
فإن مما نوصي به أنفسنا والسامعين، الحرص على العلم النافع والعمل الصالح.

(١) [آل عمران : ١٠٢]

(٢) [النساء : ١]

(٣) [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

إن العلم النافع من أجل وأفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى، وهذه العبادة فضائلها كثيرة في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ، ونفعها متعدد، وأثرها عظيم في الدنيا والآخرة، وإذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال نبينا ﷺ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " (٤)، فالعلم ينتفع به العبد في حياته، وبعد مماته، وهكذا ينتفع بالعلم النافع العباد والبلاد في هذه الحياة، وأيضا يمتد النفع إلى الحياة الآخرة.

فسعادة الدارين مترتبة على العلم النافع، والعمل الصالح، وشقاوة الدارين مترتبة على الجهل، وعلى الإعراض عن العلم النافع، والعمل الصالح، وأيما قوم اعتنوا بالعلم، وأيما بلدة رفعت بالعلم رأسا، ترى آثارها الطيبة، وترى حالها الحسن، وترى سعادتها وحسن سيرتها.

وأیما بلد أعرضت عن العلم، أو قلَّ فيها العلم، يحصل لها من الشر والفتن بقدر ما عندها من الإعراض، وبقدر ما عندها من الجهل والعياذ بالله، فأناست عرضوا عن العلم، وعن توجيهات أهل العلم، فلا تزال رواسب الجاهلية في أوساطهم، من تعصبات، ونعرات، وضرر عظيم، أو إذا قدّموا سفهاءهم، وأحجم عقّالهم يحصل عليهم من الشر قدر ما عندهم من الأغلاط والأخطاء.

فبعض البلدان إذا حصل خطأ من شخص يُعامَل الآلاف بذلك الخطأ الذي لا يرضاه ربما أقرب الناس إلى ذلك الشخص، هذا يدل على جهل، يدل على عدم توعية، على عدم بصيرة، أو تجد من يدافع عن ذلك المخطئ وعن ذلك الجاني

(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة

فالخطأ لا يسلم منه من لم تكتب عليه العصمة، فيعامل الشخص بجريرته ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥)، وكما يقال: (كل شاة تعلق برجلها).

ولا يجوز لأحد أن يدافع عن باطل، أو عن مبطل، ومن فعل ذلك، فهذا من آثار الجاهلية عنده والعياذ بالله، ولا يجوز أن يتعاون على الإثم العدوان، ومن فعل ذلك، فهذا يدل على جهله، وعلى عمايته، وعلى عدم استبصاره، وعدم انتفاعه بالعلم، وبالخير الذي هيئه الله.

العلم رفع الله به أممًا في حياتهم وبعد مماتهم ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٦)، تريد أن ترفع؟ تريد أن تستبصر؟ عليك بالعلم، وإن كنت مشغولاً، فاستفد من كلام أهل العلم، من توجيهاتهم، ومن سؤالهم، سل عما أشكل عليك، واصدر عما تسمع من الخير، لا تبقى معرضاً، وإنك لتتعجب من أناس هذا حالهم! هذا يدل على جهل، وعلى عدم بصيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيجب على المسلمين أن يتفقهوا في دين الله، وأن يعملوا بالعلم، فثمرة العلم العمل، هنا يظهر أثر العلم في حال حصول الفتن وحصول المشاكل، فمن انتفع بالعلم تراه مستتبصراً يظهر أثر الخير عليه على أقواله، وعلى أفعاله، وعلى تصرفاته، ومن كان جاهلاً معرضاً فيظهر آثار الجهل عليه.

فأنصح نفسي وإخواني ومن يسمع أن نعني بالعلم والعمل بالعلم، وأن نستبصر.

(٥) [سورة الأنعام: ١٦٤]

(٦) [سورة المجادلة: ١١]

ويجب أن نكون مفاتيح خير مغاليق شر، ولا يجوز لأحد أن يكون مفتاح شر على نفسه وعلى غيره، بعض الناس مفتاح شر على نفسه وعلى غيره، يجر جر الشر على نفسه وعلى قبيلته، وتجد من كان مماثلاً له يستجيب له ويتعصب له، هذا يدل على قلة بصيرة قلة توفيق، يدل على جهل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

متى يستبصر الناس؟! متى يرعوي المخطئ، ويستبصر الجاهل، ويستتير من كان في الظلمات يتخبط؟! والله إننا لنأسف على أناس هذا حالهم، مع وصول الدعوة إلى الله، ووصول الدعوة إلى هذه الأماكن، واستبصر كثير من الناس والله الحمد من الرجال والنساء، إلا من أعرض، وتجد المعرضين يجر جرون الشر على أنفسهم وعلى غيرهم.

الله عباد الله بالحرص على العلم النافع، والعمل الصالح، والاستبصار، وسؤال أهل العلم في حال نزول مشكلة أو مصيبة أو نازلة، يا أخي اسأل أهل العلم فالله عز وجل يقول: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧).

وفي حصول النزاعات والخصامات لا ترجع إلى الجهال، وتحكم الجهل، تحكم الأسلاف والأعراف المخالفة للكتاب والسنة، وتبقى في عماية، حكم الحق، حكم الكتاب والسنة، أنت مسلم قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) (٨)، هذا شأن المؤمن ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ حتى يحكموك يا رسول الله في حياتك فيما شجر بينهم، أو يحكموا سنتك وطريقتك بعد مماتك ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾، لا يجدون حرجاً ولا ضيقاً من حكم الله وحكم رسوله ﷺ، سواء كان الحكم لهم أو عليهم

(٧) [سورة النحل: ٤٣]

(٨) [سورة النساء: ٦٥]

بل يقولون سمعنا وأطعنا، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٩)، فلا بد من الاستسلام لشرع الله ولدين الله.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(١٠)، شأن المؤمن أنه يرجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ، ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١١)، تؤمن بالله واليوم الآخر حقاً وصدقاً ظاهراً وباطناً حالاً وقالوا؟ ارجع بنزاعك إلى الكتاب والسنة، رد نزاعك رد خلافاً بينك وبين من خالفك إلى الكتاب والسنة، إن كنت مؤمناً حقاً، لا تحكّم الأسلاف والأعراف، لا تتعصب إلى صاحب قبيلتك، أو إلى قريبك، أو إلى من أعقد عليك، ولا تكن آلة لغيرك تُسير بالدرهم والدينار.

﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١٢)، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(١٣)، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾^(١٤)، الله أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وشرعية الله تبارك وتعالى شرعية مستقيمة قويمه، ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٥)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(١٦).

(٩) [سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٣٦]

(١٠) [سُورَةُ النَّسَاءِ: ٥٩]

(١١) [سُورَةُ الشُّورَى: ١٠]

(١٢) [سُورَةُ النَّبِيِّ: ٨]

(١٣) [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٦١]

(١٤) [سُورَةُ النَّبِيِّ: ٥]

ستفوح إن أعرضت؟! والله ما تذوق إلا الويلات في حياتك، وبعد مماتك بسبب إعراضك.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) (١٩)، وهذه الآية لها سبب نزول وهو أنه خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ يَمُرُّ. فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: "اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ". فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوْنَ وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: "يَا زُبَيْرُ، اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ". فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ، إِنِّي لِأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾. (٢٠)، هذا صلح من النبي ﷺ، قال: اسقِ، ثم ارسل الماء إلى جارك أي: خذ ما تيسر من الماء، ثم ارسل الماء إلى جارك، فذلك الأنصاري قال "أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟" فغضب النبي ﷺ، ثم حكم بشرع الله قال: اسقِ يا زبير حتى يبلغ الماء إلى الجدر، استوعب حقلك شرعا، حتى يبلغ الماء إلى الجدر، ثم أرسل إلى جارك فأنزل الله هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) (٢١).

فيجب علينا عباد الله أن نعمل بهذه الأدلة، وأن نرد نزاعنا وخلافنا إلى شرع ربنا، إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله ﷺ، ونسأل أهل العلم عما نجهل أو أشكل

[١٩] [سُورَةُ النَّسَاءِ: ٦٥]

[٢٠] متفق عليه من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه

[٢١] [سُورَةُ النَّسَاءِ: ٦٥]

ومن صنيعك، فإن قتلت تقتل، وإن سرقت تقطع يدك تسلم للقضاء، وإن أخذت مال غيرك تسلم للقضاء، أو قطعت طريقا، أو فعلت أو فعلت، ما يجوز أن نقف معك على الباطل أبدا، هذا نصر عظيم له، وإن كان مظلوما قاموا معه بحسب استطاعتهم ولا يتجاوزون ويردون، بحيث أنك لا تتجاوز طالب بالمظلمة، ورد المسألة إلى أهل العلم وأيضا إلى ولاية الأمر.

ويجب على ولاية الأمر أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من نصر المظلوم والأخذ على يد الظالم فقد جاء من حديث أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: " تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ " (٢٣)

وإن كان ابنك سرق أو أخطأ، لا يجوز لك أن تجامله، قال النبي ﷺ في قصة المخزومية: كما جاء من حديث عائشة رضي الله عنها، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ " ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: " إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " (٢٤)، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فيه أسوة وقدوة، لا تقول: (ابني) ابنك إن سرق تقطع يده، إن قتل يقتل، يُرد إلى أولياء المقتول، لا تدافع عن ابنك من صلبك فضلا عن غيره، هذا هو دين الله وبهذا نسعد، أما إذا تعصبنا للباطل وللمبطل، فنحن من فتنة إلى فتنة، ومن مصيبة إلى مصيبة، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾، نسأل الله العافية والسلامة.

(٢٣) رواه البخاري من حديث أنس بن مالك

(٢٤) متفق عليه من حديث عائشة بنت أبي بكر

وكانت هذه التعصبات قديمة قبل بعثة النبي ﷺ، وكانت بعض القبائل تستمر الحروب فيها سنين عديدة، بل عشرات السنين حروب طاحنة، حتى بعث الله نبينا ﷺ؛ فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٦٤) ﴿٢٥﴾، واضح لا خفاء فيه، بعث الله فيهم نبينا ﷺ، ومن الله على المؤمنين به، وعلمهم الكتاب والحكمة، وزكاهم به.

نسأل الله أن يمن علينا وعلى المسلمين بالعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ثم ذكر الله ثمرة ذلك فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٨) ﴿٢٦﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (٦٦) ﴿٦٧﴾ وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴿٢٧﴾.

والحمد لله رب العالمين.

والتي ألقيت في مركز السنة بالمحاولة - بلاد الصبيحة - محافظة لحج اليمنية

ليلة السبت ٩ شعبان ١٤٤٦ هـ

[٢٥] [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٦٤]

[٢٦] [سُورَةُ الرُّمِّ: ١٨]

[٢٧] [سُورَةُ النَّسَاءِ: ٦٦ - ٧٠]



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



القَدْ فُزْتُ بِالْأَنْزَالِ الشَّعْرِيَّةِ
عَلَى بَعْضِ التَّعْصِبَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ



خطبة جمعة بعنوان : القذف بالادلة الشرعية على بعض التعصبات الجاهلية

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (٢٨)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (٢٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (٣٠)

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(٢٨) [آل عمران : ١٠٢]

(٢٩) [النساء : ١]

(٣٠) [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أيها الناس:

فقد خطب النبي ﷺ خطبته المشهورة بحجة الوداع خطبة بليغة في يوم عرفة بعرفة، فكان مما قال في تلکم الخطبة: " **إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ، فَقَتَلْتُهُ هُدَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبًّا أُضِعَ، رَبَانَا؛ رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ**" (٣١)

فنبينا ﷺ خطب الناس في ذلك الموقف المهيب، وفي ذلك الجمع الغفير، وهذه الخطبة تشمل أمته من الإنس والجن، فكان من قوله ﷺ: " **إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**" أكد هذه الحرمة بحرمة الزمان والمكان، وبحرمة أشهر الحج والأشهر الحرم ويوم عرفة، ثم قال ﷺ: " **أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ**"

وكل ما خالف الشرع، كل ما خالف الكتاب والسنة فهو من أمر الجاهلية تقدم أو تأخر، فكل ما خالف دين الله سبحانه وتعالى فيجب على المسلم أن يضعه تحت قدميه، وأن لا يلتفت إليه، فضلا عن أن يبني عليه شيئا، أو أن يتشبث بذحل أهل الجاهلية، أو أن يدعو بدعوة أهل الجاهلية، والعياذ بالله.

ومما وضعه نبينا ﷺ دماء الجاهلية، وربا الجاهلية، أي: ما زاد عن الرأس المال فهو موضوع؛ لأنه سحت وحرام، وهكذا مما حذر منه نبينا ﷺ دعوة الجاهلية كما في حديث الحارث الأشعري أن نبينا ﷺ قال: " **وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ**". **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: " وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ**

الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٣٢) ، ويدخل في هذه الدعوى الجاهلية من ينادي قبيلته وقومه فيقول: (يا آل فلان أو يا آل بني فلان) فيدعو قومه على خصمه، فينصرونه ظالما كان خصمه أو مظلوما، فهذه من دعوى الجاهلية، ومن كان من المصلين الصائمين، وقد دعا بهذه الدعوى فإنه من أهلها، وهو متوعد بجهنم، فإن نبينا ﷺ قال في الحديث: (فَهُوَ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ) أي: من جماعات جهنم والعياذ بالله، وجاء من (جُثَيِّ جَهَنَّمَ) بضم الجيم وتشديد الياء، أي: ممن يجثو على ركبتيه في جهنم والعياذ بالله.

ومن دعوى الجاهلية، ما جاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ - أَي ضربه في دبره بيده أو رجله - فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: " دَعُوهَا - أَي: دعوى الجاهلية - ؛ فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ " (٣٣). وفي رواية " دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ " (٣٤).

فنبينا ﷺ أنكر هذه الدعوى، وهو أن الأنصاري قال: يا للأنصار، والمهاجري قال: يا للمهاجرين) على أمر أهون من أن يجمع له، وجاء في بعض طرق الحديث قال: " اِقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَى الْمُهَاجِرُ، أَوْ الْمُهَاجِرُونَ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ. وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَا هَذَا؟ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ". قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا، فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ. قَالَ: " فَلَا بَأْسَ، وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ؛ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ " (٣٥).

(٣٢) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما من حديث الحارث الأشعري

(٣٣) في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

(٣٤) عند البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

(٣٥) رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

أي: فلينصره برفع الظلم عنه وإن كان ظالماً فليأخذ على يديه فإن ذلك نصره، ولا داعي لهذه الدعوى.

وإلى الله المشتكى يوجد في زماننا من يدعو بهذه الدعوى، ومن هو على طريقة أهل الجاهلية، فإن حصل بينه وبين شخص شيء كل ينتصر بقبيلته وبقومه، وتجد من يلتفت إلى هذا، بينما نبينا ﷺ أنكر هذا غاية الإنكار وقال: "دَعُوها فَإِنَّهَا مُتِنَةٌ" "فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ".

وبعض الناس حاله كحال من قال (وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت *** غويت وإن ترشد غزيرة أرشد)، مع قبيلته فيما أصابت، وفيما أخطأت وبعضهم يقول: (مع إخوانك مخطئ، ولا وحدك مصيب) أنت مع إخوانك وإن كنت مخطئاً، ولا تبقى وحيداً، وإن كنت على الحق والهدى)، هذه مقولة جاهلية، يجب على المسلم أن يجعلها وأمثالها تحت قدميه فالله يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (٣٦).

إما أن تكون على الحق والهدى، وإما أن تكون على الضلال والردى، فلا تُكثِّر باطلاً، ولا تنصر باطلاً، ولا تنصر مبطلاً بحال من الأحوال، وبالحق تقوى قال النبي ﷺ: "إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا" (٣٧)، وبه تُنصر وتظهر، قال النبي ﷺ: "وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ" (٣٨)، وقد أكرمك الله، وأعزك الله بالإسلام، فارفع به رأسك، وخذ بالإسلام من جميع جوانبه يرفعك الله، ويعزك الله سبحانه وتعالى، بقدر أخذك بدين الله تبارك وتعالى.

[٣٦] [يونس : ٣٢]

(٣٧) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة

(٣٨) رواه أحمد ومسلم، وغيرهما من حديث ثوبان، وهذا لفظ أحمد وجاء عن غيره

ولا يجوز لك أيها العبد أن تخاصم في باطل أو عن مبطل، أو أن تجادل عن باطل أو مبطل، فضلا عن أن تقاتل في باطل أو مبطل أو مع مبطلين قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (١٠٧) . (٣٩)

قال بعض أهل العلم: (نفسك بين جنبيك إن خانت لا تجادل عنها فكيف بغيرك) وقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ (٤٠) .

إن جادلت عن شخص في هذه الحياة، أو عن أشخاص فمن يجادل الله عز وجل عنهم يوم القيامة؟!!

فاحذر عبد الله أن تُردي نفسك، وأن تُضر بنفسك في نصرة باطل أو مبطل، أو أن تكون في صف باطل أو مبطل أو مبطلين، إن كنت تريد الخير لهم حقا وصدقا فخذ على يد الظالم، وإن كان ابنك، وإن كان من أحب الناس إليك، خذ على يده، ولا يجوز أن تنصره على باطله، فإن كل شخص سيلقى الله بعمله فيجازيه على عمله، فأعمل صالحا، واحرص أن تموت صالحا؛ حتى تكون ممن يرحمه الله عز وجل بجنته، ويكرمه برضوانه سبحانه وتعالى.

(٣٩) [النِّسَاء : ١٠٧]

(٤٠) [النِّسَاء : ١٠٦ - ١٠٩]

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا مزيدا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن دين أهل الجاهلية والعياذ بالله، أن يأخذوا الإنسان بجريرة غيره وجريمة غيره والله يقول: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤١)، وجاء من حديث أبي رمثة قال: انطلقت مع أبي نحو النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: "ابنك هذا؟". قال: إي ورب الكعبة. قال: "حقا؟". قال: أشهد به. قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا من ثبت شبهي في أبي، ومن حلف أبي علي، ثم قال: "أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه". وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٤٢).

فبينما صلى الله عليه وسلم سأل والد أبي رمثة عن ابنه، هذا ابنك؟! لما رأى من شبهه بأبيه، قال: إيه ورب الكعبة، قال: أتشهد به؟ وهذا السياق يدل على أنه يحب ابنه، ويحب نسبه إليه؛ لما يرى من خيره؛ أو لما يجد من تعلق ابنه به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه"، أي: لا يحمل إثمك، ولا تحمل إثمه ووزره، وأيضا إن جن ابنك جنية لا تتحملها أنت، وإن جنيت جنية لا يتحملها ابنك، وقرأ الآية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

(٤١) [الأنعام: ١٦٤]

(٤٢) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث أبي رمثة

فالنفس لا تحمل إثم غيرها تحمل ذنب نفسها، ولا تحمل ذنب غيرها، وكما يُقال (كُلُّ شَاةٍ تُعَلِّقُ بِرِجْلِهَا)، فلا يجوز أن تتعصب لقبيلتك، فتكون معها فيما أصابت، وفيما أخطأت، وبعضهم يعتدي على غير الجاني، فربما يكون ماشيا في طريق آمنا، فيفاجأ بوابل من الرصاص، أو غير ذلك من الإعتداءات، بحجة أن فلان بن فلان، من قبيلتكم فعل كذا وكذا.

وبعضهم يقول: (أقتل القتيل، أو ابن عمه) وربما كان ذلك المعتدى عليه منكرا على ذلك الجاني الباغي الظالم من قبيلته مبغضا له أو لا يعرفه، وقد دلت الأدلة السابقة أنه لا يجوز أن يؤخذ الشخص بجناية أبيه أو ابنه فكيف بغيرهما، فلا يعتدي على غير الجاني إلا مخذول، إلا رجل سلك مسلك أهل الجاهلية.

فيجب أن نعظم الحق، ويجب أن نحترم الحق، ويجب على من سلك هذا المسلك الجاهلي أن يستحيي على نفسه، وإن تعجب فعجب أن ترى بعض الناس يصلي أحدهم في المسجد فإذا هو قاطع طريق، ظالما معتديا فاجرا من الفجرة، إن كان ولا بد وكنت مفتتا على حق ولي الأمر ولا يجوز ذلك، فخذ صاحب الجناية، من حصل منه الخطأ، وإلا يرفع أمره إلى السلطان، فإن كان ولا بد، تعمّد إلى من حصل منه الخطأ، من حصل منه الظلم، من حصل منه أخذ الحق، أما غيره فلا يجوز لك أن تعترض عليه بحال من الأحوال، فإن فعلت فأنت على طريقة أهل الجاهلية، فاتق الله في نفسك، وتب إلى الله توبة نصوحا، واعتز بدينك، وهذا يدل على ضعف إيمان أو عدم إيمان، ويدل على جهل راسخ وعلى ضعف توعية.

فيجب على المسلم أن يستبصر في أمر دينه، وأن لا يكون كالريشة في مهب الرياح، وأن لا يكون آلة لغيره.

فالمؤمن لا يحركه إلا الدليل الشرعي من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، لا يفعل فعلا، ولا يترك تركا، إلا بحسب الدليل، مستسلما لشرع الله، معتزا بدين الله تبارك وتعالى، فهذا هو سبيل رفعتك أيها العبد ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٤٣).

وإياك أن تتجاري بك الأهواء تتجاري بك أفعال الجاهلين، وأهل الجاهلية.

فكن ناصحا لنفسك، ناصحا لغيرك بلزوم الحق والهدى، عاملا بالدليل، سواء كان الحق لك أو عليك.

فأنت مسلم أكرمك الله بالإسلام، استسلم لشرع الله، ولدين الله تبارك وتعالى يرفعك الله، ويعزك الله.

نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العُلا أن يمن علينا وعليكم بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يعزنا بطاعته، وأن لا يذلنا بمعصيته، وأن يستعملنا في طاعته وعبادته، إنه على كل شيء قدير.
والحمد لله رب العالمين

والتي ألقيت في مركز السنة بالمحاولة - بلاد الصبيحة - محافظة لحج اليمنية
بتاريخ ٢٧ محرم ١٤٤٦ هـ

الموضوعات

- كلمة بعنوان: من أصول الملة رد النزاع إلى الكتاب والسنة ٢
- خطبة جمعة بعنوان: القذف بالأدلة الشرعية على بعض التعصبات الجاهلية ١٣
- الخطبة الأولى: ١٣
- الخطبة الثانية: ١٨

